ازاحة الستار عن تمثال

الدكتور صروف

في جامعة بيروت الاميركية

وصف الحفلة وملخص ما قيل فيها

في الساعة السادسة من مساء الاحد ٢٠ يونيو الماضي احتفلت جامعة بيروت الأميركية بازاحة الستار عن تمثال الدكتور يعقوب صرُّوف ، وهو التمثال الذي أهدي اليها من قبل جماعة من أصدقاء الدكتور صرُّوف ومتخرجي الجامعة في مصر ، تشهد الاحتفال جمع حافل من الأعيان والوجهاء والنواب وقد وضع التمثال مؤقتاً في الساحة الكبرى التي تتوسط بعض بنايات الجامعة على دكة عالية للخطابة جلس عليها سعادة الدكتور عبد الرحمن الكيالي وزير المعارف السورية والاستاذ يوسف اقتيموس رئيس جماعة متخرجي الجامعة الاميركية والدكتور عبد القادر المظم مدير الجامعة السورية بدمشق والاديب زكي شخاشيري نيابة عن والده سكرتير لجنة التمثال بمصر الدكتور شخاشيري والدكتور يارد ضودج رئيس جامعة بيروت الاميركية وفي الوسط جلس العلامة الدكتور فارس نمر باشا رفيق الدكتور صرُّوف وشريكه في عمله وجهاده العلمي . وينتظر ان ينصب التمثال نهائيًا في حجرة المطالعة الكبيرة في مكتبة الجامعة

وكان في مقدمة الحضور صاحبا الدولة والسعادة عبد الفتاح يحيى باشا وتوفيق دوس باشا وحضرة الدكتور مصطفى شوقي وسواهم من الضيوف المصريين الكرام وقد دعوا خصيصاً بناء على رغبتهم في حضور هذا الاحتفال بشخص تفع الاقطار المربية بعلمه وأدبه وخدم النهضة فيه ، وحضر كذلك نجيب بك صروف نجل الدكتور صرُّوف وقد جاء من مصر خاصة لهذا الغرض

وعند الساعة السادسة افتتح الدكتور ضودج الحفلة بخطبة بالانكليزية قال فيها : منذ ٧٠ سنة قامت هنا كلية صغيرة كانت مؤلفة من ١٦ تلميذاً . فكانوا البذرة الاولى التي تزرع في الارض وبين هؤلاء فتىً يدعى يعقوب صرُّوف جاء ليعد نفسه لعمل عظيم يعمله في المستقبل فتعلم هذا التلميذ وأخذت معارفه تنمو وتزداد حتى أخذ في عمل عظيم وجعل بعمله هذا يوقظ الأقوام العربية ويدعوها الى رفع الغشاء عن عيونها . والآن نكرم هذا الرجل ونحن نرجو ان يأتي

في السبعين سنة القادمة سواء يتسجون على منواله ويبذرون مثل البذر التي بذر

ثم طلب من سعادة الدكتور عبد الرحمن الكيالي ان يتفضل بازاحة الستار عن تمثال هذا الرجل العظيم

خطاب الدكتور كيالي

سيداتي سادتي : أنتم وأنا من هذا المعهد ركن الثقافة ومنار الفضيلة تخرجنا فيه وحمدنا الله تعالى وشكرناه وخرجنا الى ساحة العمل

اننا عشنا نرى من تقدمنا ونتطلع اليهم لنرى أعمالهم وآثارهم في هذا المعهد وكان بين أهم ما رأيناه فكان نبراساً اضاء مجلة خدمت العلم والادب والنهضة العربية هي مجلة «المقتطف» الزاهرة أقرأها أنا وأنتم بل يقرأها العرب في جميع بلدانهم وأقطارهم ومثلي من كان يتلمس من صفحاتها ما تقصهُ العلم به وما هذا الا من فضل هذا الرجل الذي نحتفي به اليوم ونطلب إلى اخواننا أن يتسوا الرسالة التي بدأها تحقيقاً لآمال كل من لطق بالضاد . ان المرء اذا مات انقطع عمله الا من ثلاث : علمه وصدقة وولد يدعو لهُ ، وخير الناس من انتفع بعلمه على مر الايام

ان الحكومة الجمهورية السورية التي شرفتني بهذا اليوم يسرها ان أقف أمامكم لارفع هذا الستار عن تمثال رجل لا هو حيٌّ خالدٌ بالتمثال بل بالقلوب وان أبناء أمة الضاد الذين يعيشون تحت سماء هذه الاقطار أحراراً سيظلون كيف يخلدونهُ في قلوبهم . واني بهذا الشرف العظيم أزيل الستار عن وجهه الكريم (تصفيق حاد عند ما أزال الستار)

من كلمة سكرتير لجنة التمثال

لما نعى الناعي الدكتور يعقوب صرُّوف في التاسع من يوليو سنة ١٩٢٧ ادرك تلاميذه واصدقاؤه هول المصاب فيه والخسارة العظيمة التي نزلت بالعلم والادب والصحافة بفقده فقد كان رحمة الله عليه رجلاً فذّاً في علمه الواسع وقلمه البليغ وخلقه العالي . ولست في مقام المؤرخ فاذكر ما كان له من نصيب وافر وسهم نافذ في النهضة الفكرية في الشرق العربي طوال سبع وخمسين سنة اي من يوم ان تلقى الشهادة العلمية من رئيس هذا المعهد الجليل سنة ١٨٧٠ في اول فرقة تخرجت فيه الى يوم وفاته فانهُ رحمهُ الله خدم تلك النهضة في حجرات التدريس اولاً فكان مثالاً للمعلم الصالح والمربي الفاضل يقرن العلم بالعمل ويهذب النفس والعقل جامعاً بين التدريب العملي والمثل المحتذى في اسمى وجوه التربية متوخياً في ذلك النفعة والخدمة الصادقة لبث روح العلم الصحيح للعلم ذاته . ثم انشأ «المقتطف» مع زميله وشقيقه الروحي الدكتور فارس نمر باشا (مدّ الله في عمره) في حضن هذه الجامعة نقضيا نحو عشرسنوات ونصف سنة يدرسان فيها ويصدران المقتطف عنها وليس لما بقية سوى نشر العلم لمن لم تتح له اسباب التعليم . ولما خرج المقتطف من

نطاق الجامعة ورأى صحبه ان يفتحا وقتها عليه اصبح العالم العربي بأسره خجرة تدريس للدكتور صرّوف يضوف عليه في كل شهر بمقتطف جامع لزبدة العلوم المختلفة وثمار الآداب المتنوعة والمعارف الغريبة مقارناً بين النظري والعملي من الآراء وبين القديم والحديث والشرقي والغربي في أسلوب طلي لا يضارع وبلاغة لا تدانى متوخيا الوضوح وجودة السبك وسهولة السياق الى المعنى المقصود . ولما بلغ « المقتطف » الخمسين من عمره الحافل اعترف العالم العربي له بالخدمات الجليلة التي أسداها الى الناطقين بالضاد في الحفلة الكبرى التي اقيمت في دار الاوبرا الملكية بمصر برعاية جلالة مليكها وفي الحفلة الكبيرة التي اقيمت في وست هول ببيروت في مساء اليوم نفسه

ولما انطفأت شعلة ذلك العقل الناضج وسكن القلم الذي كان ينشر العلم الصحيح والادب الرفيع والاخلاق العالية في ربوع الشرق فيغذي النفوس ويثقف العقول بثمرات العلوم والمعارف اجتمع نفر كبير من عارفي فضله في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ في النادي الشرقي بمصر وتألفت منهم لجنة لاحياء ذكراه باقامة اثر له في وطنه مكونة من بيشال بك لطف الله رئيساً وامين مرشاق امينا للصندوق وكاتب هذه السطور سكرتيراً وجورج زنانيري باشا ونجيب غناجه والمغفور لهم نجيب شكور باشا والدكتور نعمة الله طحان بك ويوسف خلاط بك ورشيد ثابت اعضاء وانضم اليهم فيما بعد الاستاذ خليل مطران والآنسة مي والاستاذ سامي الجريديني ويوسف دبانة بك . وفي ٨ ابريل سنة ١٩٣١ قبلت اللجنة استقالة امين مرشاق من امانة الصندوق وطلبت من حضرة صاحب السعادة احمد باسيلي باشا ان يتولى امانة الصندوق فقبل ونشرت اللجنة خبر انضمام سعادته الى اللجنة مع خبر قبول جامعة بيروت الاميركية اقامة التمثال فيها في مقطم ٢٥ ابريل سنة ١٩٣١ ومن ذلك التاريخ خطت اللجنة بالمشروع خطوات سديدة تكللت بفضل من تقدم ذكرهم وبفضل حضرات المتبرعين الآتية اسماؤهم بالنجاح الذي فازت به ووصلت اليه . وهذه اسماء المتبرعين أصرح بها الآن اعترافاً بفضلهم وشكراً على نجدتهم وكرمهم وهم : —

الدكتور سليم آل دباغ الموصلي . احمد افندي الالني . جورج بك الطويس . احمد حسن . محمود ابوحسين بمنفلوط . رشيد ثابت . محمد خليل الديب . الدكتور كامل هلال . ظاهر اتريس . الدكتور يوسف غبريل . بركس ميخائيل انطون مطران السريان الارثوذكس بالقدس . خويلد حسن وشركاه . ابراهيم ديمتري بك . لجنة مشروعات مجلة الكلمة بحلب . لبا بركات . ثابت ثابت . الدكتور عبدالله منصور . معهد الموسيقى الشرقي . جورج اشقر في بيروت . دمتري بك خلاط . الدكتور نجيب يونس . انتس طانيوس سعد . الدكتور اسعد عطيه . ويحسن لي ألاّ يفوتني التنويه بفضل صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا الذي كان له في احياء ذكرى الدكتور صرّوف اليد الطولى والاثر البارز ولا سيما الجائزة السنية التي تبرع بها ونشرت تفاصيلها في مقتطف مايو الماضي وقدرها ١٠٠ جنيه مصري

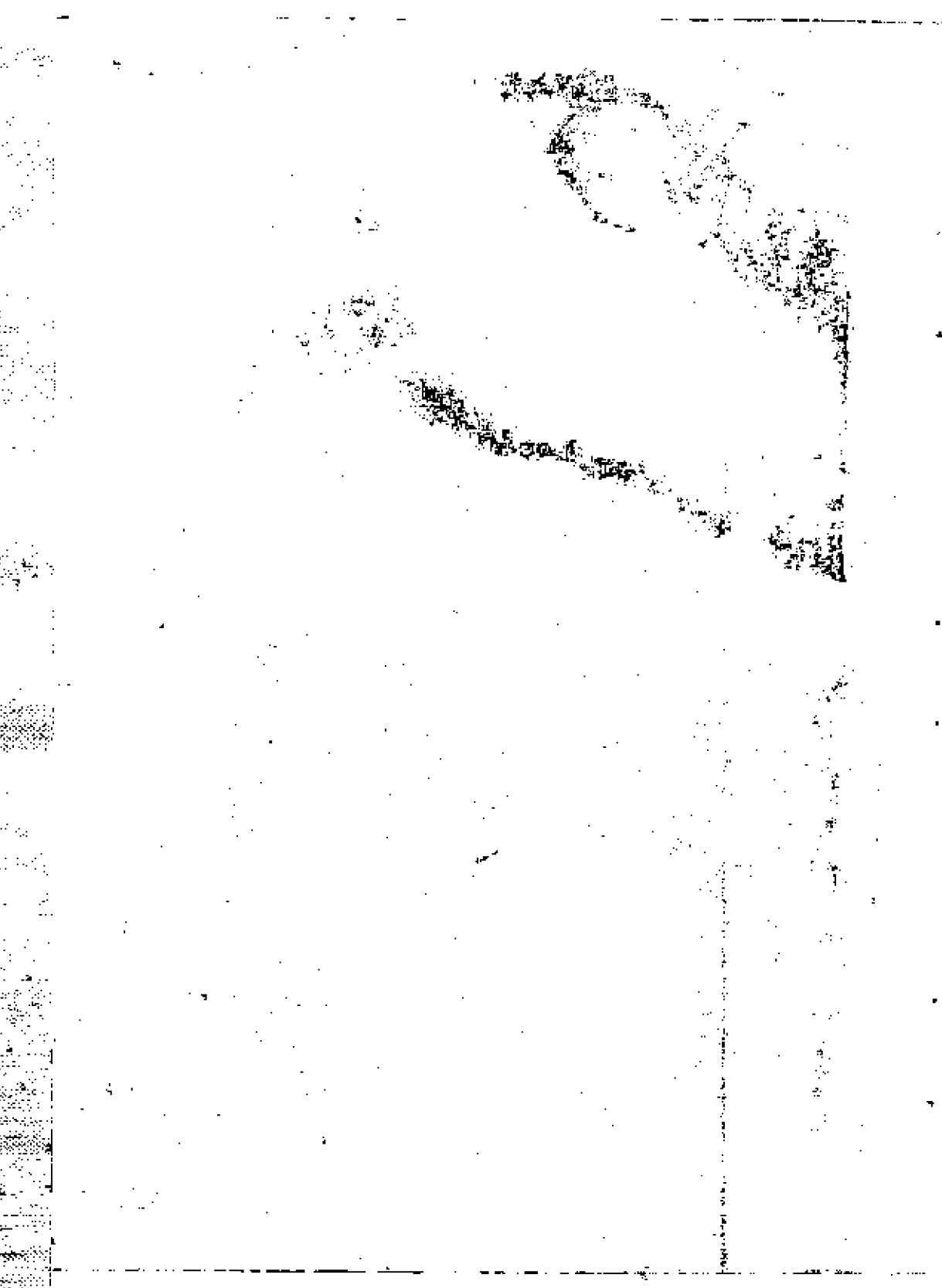

الدكتور عبدالقادر العظم مدير الجامعة السورية يخطب في حفلة ازاحة الستار عن تمثال الدكتور صروف

الدكتور فارس نمر باشا يخطب في حفلة ازاحة الستار عن تمثال الدكتور صروف

كلمة الاستاذ يوسف اتيموس

ثم وقف الاستاذ يوسف اتيموس رئيس جماعة متخرجي الجامعة وألقى خطبة استهلها بقوله مخاطباً صاحب التمثال وقد كان من التلاميذ في الجامعة : —

سيدي الاستاذ في هذا الحمى كم علينا لك من فضل ومن
أسفي تبدو على منبره صامتاً بل اثراً بين بعد عين
هاتي والله ما أشهده عوض الله بثاني الفرقدين

وجال الاستاذ اتيموس جولة في الكلام عن التمثال وصاحبه الحكيم الكريم الباحث المتقب العالم الجليل وعن النهضة التي ايقظ روحها في بلاد العرب وتكلم عن معاصريه الاجدب والبستاني والاسير واليازجي وعن زهرة الآداب وعن المازار والنقاش وغيرهم . وطفق يتكلم في كل هذه الشخصيات الى ان قال ان التاريخ سطر فيها اسمي صروف ونمر بين المع اسماء الرجال الذين تفانوا في خدمة هذه البلاد و بلاد مصر الشقيقة

صروف ونمر الاسمان المتقاربان المتلازمان صروف ونمر الفرقدان اللذان مشيا جنباً الى جنب مجاهدين متضافرين في سبيل الوطن واللغة والعلم والسياسة صروف ونمر ضربا للشرق مثلاً في الجد والنشاط والاستقامة والوطنية والتجلد في تنظيم الامور

ثم عاد الى الكلام عن التمثال وحده وعن صاحبه الذي له في كل خزانة مجلدات ضخمة من آثاره وعما قاله لم ينصب التمثال في مكتبة الجامعة ولصاحبه فيها أكثر من تسعين تمثالاً هي مجلدات صرف عليها ليالي السنين الطوال وختم كلامه محيياً صاحب التمثال ورفيقه في جهاده سعادة العلامة الدكتور فارس نمر باشا

كلمة الدكتور عبد القادر العظم

سيداتي . سادتي : أشكر لحضرة الرئيس الكريم — الدكتور صوايا — ما أولاني من شرف عظيم اتاح لي فرصة المثول بين أيديكم لالقاء كلمة وجيزة باسم الجامعة السورية في هذه الحفلة الطيبة التذكارية . ان الجامعة السورية لسعيدة جداً باشتراكها في هذه الحفلة لانها تجد فرصة على توثيق عرى الصلات الثقافية بينها وبين شقيقتها الكبرى الجامعة الاميركية

ان فقيد العلم والادب المحتفى بذكراه هو ابن الجامعة الاميركية هو ابن المروءة وفوق ذلك هو ابن العلم والثقافة الذين لا وطن لهما . ان الانسانية الحرة السامية التي لا تعرف الحدود الجغرافية ولا الفوارق الجنسية بل تقدر النبوغ والفضيلة أينما وجدا . أليست هذه الحفلة التي يقيمها رسل الثقافة الاميركية المشبعون بهذه الروح السامية وهذا التمثال الذي أقاموه تقديراً لشخصية

صاحبه النفذة شاهدين على ما أقول ؟ ان كلمة الحق لا يليق بها أن تبقى مختبئة كامنة في النفس بل يجب على اللسان ان ينطق بها وعلى الآذان السامعة ان تتلقفها لتدخل أعماق القلوب . هذه الكلمة التي لا ينكرها أحد من سكان البلاد العربية قاطبة ولا سيما البلد الذي تظلنا سماؤه والبلد الذي قدمنا منه هي كلمة الجهر بفضل الجامعة الاميركية وأثرها البعيد في نهضة هذه البلاد العلمية والثقافية

ان هذه البلاد ساحلها وداخلها ثغورها وعواصمها تطق بالجميل وتذكر دوماً بيض الايادي لهذه الجامعة — الشيخة الفتية — لانها كانت وما زالت منهلاً فياضاً للعلوم والفنون يرتادها أبناء هذه البلاد فيرشفون من سلسبيلها العذب ما يروي ظمأهم وينقع اوارهم

أجل سادتي ان الجامعة الاميركية — شيخة وفتية — في آن واحد انها شيخة الجامعات في بلادنا بقدمها واختبارها وحكمتها . فتية بحمتها وتجدد براعمها ونشاطها . واذا اقترنت الحكمة بالنشاط كان النجاح محققاً والارتقاء مضموناً . اتا كيف وجهنا النظار نرى اثر الجامعة الاميركية في نهضة بلاد العرب الاجتماعية وفي تكوين الفئة المختارة من رجالاتها وشبابها . نراها في مصر حيث بعثت برسلها ينشرون المبادىء الحرة التي اقتبسوها . نراها في العراق حيث يتقلد تلاميذها المناصب ويديرون شؤون الامة . نراها في فلسطين وفي الشرق العربي حيث يرفع خريجوها ألوية الفخار لها

واخيراً نراها في سورية ولبنان حيث عمّ فضلها وانتظم عقد اياديها كاللآلي يزدان بهم جيد هاتين الجمهوريتين الفتيتين فيرئسون المجالس ويتولون الوزارات ويتزعمون الامة فهم كنوزها ومفاخرها عدتها في الحوادث وسندها في الملمات والكوارث

فاذا كانت الامم تعتز بجامعاتها لانها عنوان نهضتها ورمز اعلائها ورفعتها فاحر بأبناء هذه البلاد ان يعتزوا بهذه الجامعة لانها انجبت لهم رجالا كباراً يهتدون بهديهم ويسترشدون بوحيهم فيقودونهم في مراقي التقدم والنجاح واذا كان الفضل يعرفه ذووه حق علينا ان نقر بفضل جامعة هذا شأنها وان نطلب لها اطراد الرقي في ظل رئيسها الهمام واساتذتها الجهابذة الاعلام والسلام عليكم

***

وبعد هذا وقف الدكتور ضودج وقال لا يمكن ان نكرم المرحوم الدكتور صروف من دون ان نكرم الدكتور فارس نمر الحاضر بيننا فقد عاد بعد سنين طويلة الى المدرسة التي ربته

كلمة الدكتور فارس نمر باشا

سيداتي سادتي : منذ اكثر من ٥٣ سنة في مثل هذا الاسبوع من سنة ١٨٨٤ وضعت يدي بيدي صاحب هذا التمثال وفارقنا هذا المعهد الذي قطنا فيه اربع سنوات وعلمنا عشر سنوات وولينا وجهنا شطر مصر العزيزة وقال لي رفيقي نحن فارق سوريا ونقابل مصر فان كنا رجالاً اظهرنا مقدرتنا ورجعنا ممدوحين

هذه الكلمة ترن بأذني الآن بعد ٤٣ سنة وها أنا الآن بعد هذه السنين الثلاث والخمسين أعود الى هذا المنبر فكم كنت اود لو كان رفيقي واقفاً الى جانبي الآن وواضعاً يده بيدي

قالوا تغير العادات صعب . حقيقة ان في هذا القول صحة . اني اعتدت ان اعد رفيقي صديقاً وأخاً حقيقيًّا وقضيت السر والناس يظنون اننا اخوان بيننا قرابة . نعم ان الصداقة اذا تمكنت تحل محل النسب وأؤكد لكم ان هذا الرجل اخي الذي سبقني بعشر سنوات كان لي أخ غيره ولكن صرُّوف هو بالفعل اخي ولو وجد في اللغة كلمة اشد من كلمة أخ لكنت استعملها

قلت تغير العادات صعب وكلما كنت اسمع احد الناس يمدحني لم ارد الكلام بمثله نظراً لما كان الناس يرونه من النسب بيني وبينه خوفاً من ان يقال عني مادح نفسه يقرؤك السلام ، بل كل ما قيل له كنت اراه يقال لي . وهكذا امتزجت حياتنا حتى كأننا افرغنا في قالب واحد

وشاهدي على ما اقول ياسادتي اني منذ بضعة اشهر نلت رتبة الباشوية التي ألصقت بها على مصر وتلقيت اكثر من ٣٠٠ الى ٤٠٠ رسالة تهنئة واكثر هذه الرسائل معنونة بصاحب السعادة صرُّوف عمر باشا (ضحك من الجمهور) انا أقبل ذلك نعم نحن واحد ولسنا اثنين

وأبلغ من ذلك تزوجت بالأمس كريمة المرحوم سعيد باشا شقير ابنة ابنة المرحوم الدكتور صرُّوف فكان عرسها حادثاً ما تلطخت به الصحف . وما تولكم برسول مجلس الوصاية جاء يهنئني بزواج هذه الابنة التي هي ابنة ابنة الدكتور صرُّوف باعتبار انها ابنة فارس نمر

انا واقف هنا واخاف ان تغلبني عواطفي ويظهر ضعفي امامكم ايها السادة فكيفما التفت يميناً ويساراً تتوارد امام عيني الصور والحوادث التي اتحدنا بها فاخشى ان تغلبني

ان الرابطة بيننا وبين الجامعة الاميركية هي «المقتطف» . وقضا مرة في بناء لم اعد اعرف ابن هو من هذه الابنية التي تغير بعضها وتجدد البعض الآخر وجلسنا نقلب مجلات وصحفاً انكليزية فالتفت اليَّ رفيقي وقال ما قولك لو انشأنا مثل هذه الصحيفة قلت ولكن ليس لدينا علم ولا مال لصحيفة مثل هذه تحتاج الى الامرين . فقال لا بأس انا نجعلها من ٢٤ صفحة

قررنا الشاء الجريدة وذهبنا الى استاذنا الدكتور كريليوس فانديك رحمة الله عليه فقلت « خطر لنا خاطر وهو ان ننشيء جريدة عربية فقال ولكنكم تحتاجون في هذا الى المال قلنا ان الله ييسر وعولنا على انشائها وقلنا ماذا تسطينا اسماً لهذه الجريدة ففكر قليلاً وقال «المقتطف» فاسم «المقتطف» واضعٌ بالاصل فانديك . ذكر الاستاذ يوسف افتيموس الرجال الذين عاصروا نشأة تلك الجريدة وهم : الاحدب واليازجي والبستاني والاسير وقد كانت كتاباتهم واقوالهم ولاسيما البستاني منهم تذاع شرقاً وغرباً . وصدر « المقتطف » ولكنه كان صغيراً وبعد مدة صدر « لسان الحال » وهو من عمر « المقتطف » الا بضعة أشهر فكنا كائنة واحدة واخذنا نشتغل معاً

قلت ان عملنا كان يحتاج الى مادة علمية ومادية ولا يمكن لعالم ان يذيع مؤلفاته الا اذا كان عنده مال وقد وجدنا ان «المقتطف» لا يمكن ان يثبت الا اذا وجدنا له المال فتشاورنا في هذا وهذا وجده هو الذي جعلنا ننشىء «المقتطم» لا لقصد ان نقلب عالك وحكومات بل لكي نساعد «المقتطف» ماليًّا. ولكن ارياح يا سادتي تجري بما لا تشتهي السفن ولقد جعلنا السياسة في المقطم راسخة على الاساس الذي كنا نسير به في هذا المعهد وهو خدمة الحقائق. وهكذا جعلنا نسعى للحقائق ولكننا نسينا ان العالم غير ذلك، نسينا ان هناك احزابًا وميولاً وأخذنا نتخبط في ذاك الخضم ونصطدم بأمواجه حتى ادى بنا الحال الى غضب سلطاننا السلطان عبد الحميد فنعى ومنع رفيقي من الدخول الى هذه البلاد ومنعنا من ان نرسل اولادنا الى القطر في مدارسها

وأخيرًا غير الناس انكارهم بنا والفضل بذلك لاخي هذا الذي كان يعامل الناس كانهُ طفل صغير. فم الفضل بذلك لاخي الذي كان مثال الدعة والامانة والاستقامة

ولو اردت تعرف حقيقة صرُّوف قد تقفني مبالغًا اذا قلت انهُ عند ما كان يقال امامهُ شيء لا يريد ان يبوح بحقيقته كنت تقرأ هذا على وجهه لانهُ كان يحمر وأنت تحدثهُ

كان في معاملته صادقًا وكان زهده غريبًا فالذي يهم الناس لا يهمهُ ابدًا واذا كنت تريد ان تعرف صرُّوف فتش عنهُ في غرفة ترهُ جالسًا وأمامهُ كتاب يقرأهُ يهدوء ثم بعد بحث طويل يأتيني ويقول وماذا بعد هذا؟ وماذا بعد هذا؟ يأتي حائرًا ويقول لا اعلم ماذا بعد هذا؟ انهُ الآن يعلم!! . قالوا ان الارواح تتخاطب بعد الموت قليلة وفاته جلست في سريري انتظر ان يأتي ويكلمني ولكنهُ لم يجيء. وفي الليلة الثانية جلست على سريري انتظر ان يكلمني ولكنهُ لم يكلمني كذلك. ولكن الانسان لكي يعلم يجب ان يؤمن لان كثيرًا من الاسرار مغلق لا يمكن فهمه

يا اخي انت الآن تعلم. انت سبقتني من عشر سنوات ولما توفيت لم احزن كثيرًا لانني قلت انني سألحق بك بنفس السنة. اما وقد مضت عشر سنوات ولم الحق بك اشعر بأني وحدي في هذا العالم. شقيق ذهب عني. ذهب وتركني في مكان مفتوح

كلما تحدثت عن المدح به حقيقة بل دونها. فلو مد الله بعمره لاستفاد هذا الشرق كثيرًا منهُ. اخي صرُّوف يجلس الآن بين اساتذته فاتديك وبليس وورتبات وبوست وهو الخامس بينهم. ان هذا قليل جدًّا عليك يا اخي. فاشكركم يا سيداتي وسادتي على حضوركم هذه

***

وهنا ارتقى المنبر نجيب صرُّوف بك نجل الفقيد الكبير وألقى كلمة باسم اسرته وجه فيها الشكر الى اللجنة التي توليت الاشراف على صنع التمثال والذين تبرعوا بالمال لهُ والسيدة التي صنعتهُ والجامعة الاميركية التي رحبت به وجميع الخطباء والسيدات والسادة الذين حضروا الحفلة